

المفارقات الزمانية في رواية "أرواح هائمة" لعبد العظيم إسماعيل

Temporal paradoxes in the novel "Wandering Souls" by Abdel Azim Ismail

الدكتور/ هطال زهر اليوم

الدكتور/ مزروع نزهة

قسم الآداب واللغة العربية-جامعة محمد خيضر-بسكرة(الجزائر)

مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة

na.mazroue@univ-biskra.dz/zahrelyoum.hettal@univ-biskra.dz

تاريخ الإيداع: 2025/10/05 تاريخ القبول: 2025/12/06 تاريخ النشر: 2026/03/15

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على المفارقات الزمنية في رواية "أرواح هائمة" لعبد العظيم إسماعيل، تلك البنية السردية المحورية التي تُمثّل تشظي الذات وتشظي الزمن، حيث يتم تجسيد تداخل الماضي مع الحاضر وتعطيل التسلسل الزمني التقليدي بوصفه انعكاساً لأزمة الهوية في السياق العربي المعاصر. تستند الرواية إلى تقنيات الانزياح الزمني، بهدف إنشاء دائرة سردية تتشابك فيها الذكريات المكبوتة والصدمات الاجتماعية والتاريخية. الكلمات المفتاحية: المفارقات الزمنية؛ تشظي الزمن، أرواح هائمة، عبد العظيم إسماعيل، الانزياح الزمني.

Abstract:

This study aims to interrogate the temporal paradoxes in Abdel Azim Ismail's novel "Errant Souls", a narrative construct that epitomizes the fragmentation of both selfhood and temporality.

The text disrupts linear chronology by staging the convergence of past and present, thereby destabilizing conventional narrative order as a literary manifestation of the identity crisis pervading the contemporary Arab context. Through the deployment of temporal displacement techniques, the novel forges a circular narrative architecture in which repressed memories intersect with social and historical traumas, producing a multilayered temporal fabric that resists closure and coherence.

key words: Temporal paradoxes; Fragmented temporality; Errant Souls; Abdel Azim Ismail; Temporal displacement.

تقديم:

رواية "أرواح هائمة" لعبد العظيم إسماعيل نموذجاً مميزاً للسرد غير التقليدي الذي يتجاوز الحدود الزمنية الخطية المعهود في هذا العمل. تصبح المفارقات الانزياحات الزمانية محوراً أساسياً يحكم نسق السرد، حيث يتشظى الزمن بطريقة تكشف عن أبعاد عميقة من التجربة النفسية والمعرفية للشخصيات، وتتداخل هذه الانزياحات لتسمح للقارئ بالمشاركة في تفكيك العوالم الداخلية للشخصيات التي تبدو عالقة بين ماضي ثقيل وحاضر غامض، يغلب عليه التيه والشروء. تتمحور الإشكالية الأساسية للرواية حول كيفية تشكيل المفارقات الزمانية للبنية السردية والدلالية، وكذلك الوظائف النفسية والموضوعية التي تؤديها؛ ينشأ عن ذلك تساؤلات حول أنواع تلك المفارقات وآليات عملها، ومدى قدرتها على كشف الطبقات النفسية العميقة والمكبوتة للشخصيات. يمكن النظر إلى هذه الانزياحات كرمز وجودي لمواجهة صدمة الماضي، علاوة على دورها في تجسيد رؤية الكاتب الفنية لحالة "الهيام"، حيث يصبح الزمن تشابكاً معقداً يعكس حالات نفسية مضطربة.

لتحقيق فهم معمق، يتبنى البحث مقارنة نقدية متعددة الجوانب تجمع بين عدد من المناهج؛ يستعين التحليل بالمنهج البنوي لدراسة عناصر الزمن، إلى جانب ذلك يوظف منهج التحليل النفسي لفهم دوافع الشخصيات وصراعاتها اللاواعية، مع الربط بين التشظي الزمني ومفهومى الصدمات النفسية والذاكرة المكبوتة.

1-الفضاء الزمني:

يعرّف الفضاء الزمني على أنه "مجموعة العلاقات الزمانية، السرعة، الترتيب الزمني، المسافة....، القائمة بين المواقف والأحداث، المروي والسرد"¹.

كما يؤكد الدكتور سعيد يقطين على أن الزمن ومقولته متعددة المجالات وكل مجال يعطينا دلالات معينة، ويتناولها بأدواتها التي يصوغها في حقله الفكري والنظري، والزمن بدوره هو تحليل اللغة في أقسام الفعل الزمنية في تطابقها مع تقسيم الزمن الفيزيائي إلى ثلاثة أبعاد، الماضي والحاضر والمستقبل.²

¹-جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، بيروت للنشر والمعلومات، مصر، ط1، 2003، ص198.

²-ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص3، 61.

وعلى هذا الأساس يخضع الفضاء الزمني في حالته غير الطبيعية إلى تقنيتين سرديتين، وهما الاسترجاع والاستباق أو ما يعرف بالمفارقات الزمنية.

2-المفارقات الزمنية:

أ-مفهومها:

يرى جيرار جينات (Gérard Genette) أن "المفارقات الزمنية تعنى بدراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة بنظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة"³؛ بمعنى أن المفارقة يمكن أن تعود إلى الماضي أو تتوقع المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة حاضر القصة التي يتدفق فيها السرد حتى يفسح المجال لتلك المفارقة.

ب-أنواع المفارقة الزمنية: للمفارقة الزمنية عدّة أنواع مختلفة ومتباينة في النسيج السردى الإبداعي، ولكننا من خلال هذه المقالة نسلط الضوء على أهم وأبرز نوعين أساسيين فيها وهما:

1-الاسترجاع:

1-1-مفهوم الاسترجاع:

يقصد بالاسترجاع تلك المفارقة الزمنية التي تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، أو هو استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة⁴؛ أي بمعنى آخر تذكر حادثة مرت، كما لا يكون هذا التذكر اعتباطيا وإنما من شأنه التطوير في مسار القصة وجعلها تبدو مختلفة عن ذي قبل.

2-1-أنواعه:⁵

أ-استرجاع خارجي: يعود إلى ما قبل بداية الرواية.

³ جيرار جينات، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم عبد الجليل، منشورات الاختلاف الجزائر، ط3، 2003، ص47.

⁴ ينظر: جيرالد برنس، المصطلح السردى، المشروع القومي للترجمة، تر: عابد خزندار، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص25.

⁵ سمر روي الفيصلي، الرواية العربية، البناء والرؤيا، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003، ص192.

ب-استرجاع داخلي: يعود إلى ماضي لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص.

2-الاستباق:

2-1-مفهومه:

يراد بالاستباق داخل النص السردى "مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته"⁶، وهو كذلك كل "مقطع يروي أو يثير أحداثا سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها"⁷.

2-2-أنواعه: يمكن القول بأن أهم نوعين في الاستباق يمكن ملاحظتهما بشكل جلي داخل النص السردى هما:

أ-الاستباق الخارجى: يقدم لنا "تلخيص لما سيقع في المستقبل خارج حدود الحقل الزمنى للحكاية الأولى"⁸ فهو الاستباق الذي يكون خارج القصة الرئيسية.

ب-الاستباق الداخلى: إن الاستباق الداخلى أكثر توظيفا في النصوص الروائية، فهو يتعرض لمشكل التداخل والتكرار الممكنة بين الحكاية الأولى، والحكاية التي يتولها المقطع الاستباقي⁹، فهو الاستباق المتعلق بالقصة الرئيسية.

3-تجليات المفارقات الزمانية في رواية "أرواح هائمة" لعبد العظيم إسماعيل:

يمكن ملاحظة ظاهرة المفارقة بشكل جلي في رواية "أرواح هائمة" من الوهلة الأولى، خاصة وأن الراوي الذي يقدم لقصة الرواية يأخذنا في زمن الحاضر لبرهة من الزمن ليعيد ترتيب الرواية وفق للذكريات القائمة بين بطلي رواية "أرواح هائمة"؛ حيث يكون اللقاء الأولي مبنيا على إعادة خلق للذكريات والقصص التي مضت بينهما إلى أن يعيد سرد الرواية إلى طبيعته الأساسية، وهي زمن الحاضر، في خوف دائما من القادم المجهول(المستقبل) وبذلك

⁶-عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، دار الهرم، مصر، ط1، 2009، ص109.

⁷-جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة، (د.ب)، ط2، 1997، ص121.

⁸ سمر روي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، ص121.

⁹ ينظر: أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص267.

تلعب المفارقات الزمانية دوراً بارزاً في سياقة أحداث القصة، ولذلك كانت هذه الورقة البحثية تقدم على الحفر في الزمن داخل هذه الرواية وتحليل الأحداث وفق تلك الأزمنة المتعاقبة، وفيما يلي سرد لبعض الاستباقات والاسترجاعات الزمانية.

أ-استرجاع:

يقول صاحب الرواية على لسان الراوي: "هل من المعقول أن يكون اللقاء بعد كل هذا في زمن أزيز الرصاص."¹⁰

تُجسّد المفارقة الزمنية الاستهجانية في هذا السياق من خلال التداخل المأساوي بين زمنين متعارضين على المستوى الجوهرى فمن جهة، يظهر زمن اللقاء بوصفه ذروة التوق الإنساني نحو لحظة حميمية يُفترض أن تجسد الدفء، الطمأنينة، والوفاء. ومن جهة أخرى، يُفرض حضور زمن الحرب العنيف بكل ما يحمله من قسوة، حيث يطغى فيه صوت "أزيز الرصاص" الذي يشكل ذروة التدمير، الموت، والفوضى. تتجلى المفارقة في الجمع القسري بين هذين الزمنين المتصارعين في إطار لحظة واحدة بما يخلق تناقضاً صارخاً، ويولد أثراً عاطفياً عميقاً لدى المتلقي. يتجلى العنصر الاستهجاني من خلال الصياغة البلاغية للسؤال الذي يحمل بُعداً ضمناً من الاتهام الصامت للواقع العيبي. إذ إن السؤال "هل من المعقول؟" لا ينتظر إجابة بقدر ما يعبر عن صدمة وجودية عميقة إزاء هذا التداخل الزمني غير الطبيعي ففي قلب الحرب، لا يعد اللقاء انتصاراً للحب أو للحياة، بل يتحول إلى شاهد مأساوي على سيطرة العنف، حتى على أقدس اللحظات الإنسانية هنا تصبح المفارقة الزمنية أداة سردية تحمل وظيفة كشفية؛ فهي تسلط الضوء على قدرة الحرب التدميرية التي تتجاوز الأجساد لتطال الإمكانية ذاتها للحظات الجمال والإنسانية. بذلك، تعمّق الحرب الإحساس بالاعترا ب الوجودي وتصنع واقعاً مثقلاً باللامعنى.

كما يقول في مقطع سردي آخر من الرواية "مدينة كانت ملجأً آمناً لمئات الآلاف من مختلف أبناء سورية بغض النظر عن أية اعتبارات من أي نوع كانت، تصبح بعد ذلك أخطر المدن على مستوى العالم حسب تقاريرهم، غير صالحة للسكن بعد ذلك، تحرير مدمر حرق الأخضر، واليابس، تحرير مزعوم مرتبط بأهداف مشبوهة.

¹⁰-عبد العظيم إسماعيل، رواية أرواح هائمة، دار فضاءات، عمان الأردن، ط1، 2022، ص10.

مأساة إنسانية تفوق الوصف مشهد تراجيدي، ممزق لكل المشاعر الإنسانية، حيث يسعى الكل للنجاة بمفرده، أو بمن معه بالغالب كانت محاولات عبور النهر تتم ليلاً خوفاً من غارات الطيران الذي يقصف بدون تمييز كل من يعبر النهر من الشباب الذين يجيدون السباحة في مياه النهر، ولديهم القدرة على مجازاة تياره الذي يحتاج للخبرة، والمهارة، كانوا يعبرون النهر، بل كان البعض منهم كالعين الساهرة لكل من يعبر، يرافقون الزوارق سباحة لإنقاذ من يسقط من الزورق في مياه النهر مغامرين بحياتهم، في منظر إثارة قل نظيره¹¹

تُبرز المفارقة الزمنية الاستهجائية في هذا النص من خلال استدعاء صورة المدينة في الماضي كفضاء آمن يعزز معاني التسامح والحماية، لتتناقض بشدة مع واقعها المأسوي الحالي الذي يطغى عليه الدمار. ذاكرة المكان، التي كانت رمزاً للطمأنينة والتعايش، تتحول إلى أداة تسخرية تسلط الضوء على تدمير "التحرير"؛ حيث فقدت المدينة مظاهر الحياة وانقلبت رمزية الماضي الآمن إلى مواجهة مباشرة مع حاضر يحمل في طياته تهديداً مستمراً للحياة. هذا التوظيف لاسترجاع الزمن، لا يعكس مجرد حنين إلى الماضي، بل يعمل كوسيلة فكرية لإبراز مدى الكارثة التي ألمت بالمدينة؛ إذ تُفكك قيم الانتماء الجماعي والتسامح إلى محاولات مبعثرة للنجاة الفردية. يتعمق هذا التشدد النقدي في تحول النهر، الذي كان يُنظر إليه سابقاً كمصدر للحياة والخصوبة، ليصبح ممراً مأساوياً للموت، النهر، الذي لطالما ارتبط بإيقاعات حياة المدينة، أصبح شاهداً صامتاً على الكارثة المتصاعدة، استحضار صورة الشباب وهم يعبرون النهر بمهارة تُوظف ليس بحثاً عن حياة أفضل، بل هرباً من الموت الوشيك، يولد مفارقة مأساوية تتداخل فيها براعة السباحة مع رعب القصف، وغريزة البقاء مع قيم التضحية، هذه المفارقة تعمق الشعور بالأسى الذي يتغلغل في النص، حيث يظهر أن الماضي الذي كان مليئاً بمهارات الحياة انقلب ليصبح وسيلة يائسة للنجاة. هذه السخرية المريرة تكشف زيف الادعاءات المرتبطة بـ "حقيقة التحرير"، وتوضح أنها ليست سوى عملية مُدمرة أفرغت الحاضر من معانيه الإنسانية وأثقلته بظلال الخطر والبؤس.

وفي مقطع موالٍ من رواية "أرواح هائمة" يقول الراوي مستحضراً الذكريات بين وحيد ومحبوبته السابقة: "يمد وحيد يده للمرأة الأخرى ليساعدها لركوب الزورق، عندما ترفع رأسها لتمسك بيده، ينظر كل منهما للآخر تجمدت يده الممتدة، كما أصيبت المرأة بالذهول، تتوقف عيناها عن الإطباق مشدوهة، كأنها رأت ما لم يمكن توقع رؤيته، بينما صدرت من جوفها شهقة عميقة أقرب ما تكون للصراخ.

¹¹-المصدر نفسه، ص 13.

ثوان كأن الزمن قد أوقف عجلته في هذا الموقف غير المتوقع، تسمرت العيون، ساد صمت بينهما، على حين جنّ الصخب والضجيج من حولهما لا يشعران بفداحة الموقف، كأن الأمر لا يعنيهما¹²!

لنتجلى المفارقة الزمنية الاسترجاعية في هذا المشهد من خلال الانقطاع المفاجئ لحركة الزمن في لحظة اللقاء، التي تفاجئ المتلقي بتوترها العاطفي. بينما كان الزمن يتسارع باضطرابٍ شديد بفعل الفوضى والهرب، يطرأ عليه توقفٌ حاسم حين تتقاطع الأيدي وتتلاقى النظرات، مما ينقل الشخصيتين إلى ذكريات مشتركة، تُستحضر بعمق دون أن يتناول النص تفاصيلها. هذا التجميد الدرامي للزمن يُبرز فضاءً استثنائياً وسط مشاهد الفوضى؛ حيث تتحول ديناميكية الاسترجاع الذهني إلى قوة قادرة على تعطيل الضجيج الخارجي بشكل مؤقت. تتشكل المفارقة في إطارها الاسترجاعي عبر التباين الواضح بين جوهر اللقاء الإنساني الحميم وسياق الأحداث المليء بالخطر والموت. ففي الوقت الذي تتطلب الأحداث التركيز على النجاة من الفوضى، تفرض لحظة اللقاء ذاتها كحدثٍ ذهني وعاطفي يتجاوز أولويات المحيط. تكمن قوة المفارقة في تحول أكثر اللحظات المرتبطة بالنجاة والاستعجال إلى فضاء من التأمل الإنساني العميق، حيث يتناقض الاندفاع الجسدي للهروب مع السكون الذي تفرضه اللحظة العاطفية. هذا التناقض يخدم كإطار يعيد تعريف الأولويات وسط تهديدات البقاء، ويبرز مشهد اللقاء كعلامة فارقة تجمع بين الإلحاح والحيوية الإنسانية.

وبواصل الكاتب في توظيف الاسترجاع من خلال مشهد التقاء وحيد بمحبوبته وكأن الزمن أخذ وضعية السكون؛ يقول: "يدير وجهه نحو وجهها الذي لا يبعد عنه كثيراً، تلتقي نظراتهما الحزينة بأسئلة لا حصر لها."¹³

في هذا المشهد، تتجسد المفارقة الزمنية بشكل فريد، حيث يتوقف الزمن العاطفي عند لحظة اللقاء، بينما يستمر الزمن الخارجي في جريانه السريع والمضطرب. النظرات تتلاقى في فضاء متخيل يتحدى حدود الزمن المادي، فتُختزل سنوات الفراق والمشاعر غير المفصّل عنها في لحظة خاطفة تنبض بالمعاني. هذا التوقف الزمني الإرادي وسط عالم مشحون بالهروب والاحتواء يُبرز مفارقة وجودية عميقة؛ إذ في ذروة الخطر الخارجي، يُخلق بينهما فضاء داخلي يتجمد فيه الزمن، وكأن النظرات تفتح بوابة لكون موازٍ حيث الأسئلة تُطرح بصمت والأجوبة

¹²-المصدر نفسه، ص 14.

¹³-المصدر نفسه، ص 15.

تتشكل بلا كلمات. تصبح اللحظة ذات طابع ساخر حين يبرز التناقض بين ما تحمله النظرات من أسئلة عميقة وصمت خافت، وبين صخب العالم الخارجي المليء بالتسارع والواجبات المستعجلة. رغم أنها تأتي في وقت يُفترض أن يكون مُخصصاً للهروب، تتحول إلى أبدية من الحيرة والتأمل، حيث يعبر الصمت بصمت أكثر بكثير من الصراخ، وتتحدث العيون ببلاغة تتجاوز الكلام. المفارقة تكمن في أن الخطر، الذي عادةً ما يجبر الناس على الانشغال والسرعة، يصبح هنا محفزاً للحظة إنسانية خالدة، حيث يتيح المجال للقاء الأرواح قبل الأجساد. في هذه السخرية الوجودية، يظهر أن ما يُعتقد أنه يقتل المشاعر تحت وطأة الظروف القاسية هو نفسه ما يوقظها في أعماق صورها.

وعند المضي إلى الأمام في عجلة الزمن الروائي يستوقفنا مقطع من الرواية؛ يقول المؤلف فيه على لسان راوي القصة: "لم تعد كافية معاناته مع زوجته وطفله الوحيد ذي السنوات الخمس اللذين ركبا موجة الهجرة إلى أو روبا منذ أكثر من سنتين، يرفضان العودة بل يدعوانه إلى القدوم إليهما، والتخلي عن كل شيء، والعيش بأمان لبدا حياة جديدة كلياً هناك."¹⁴

يكشف هذا المقطع عن تعبير دقيق للمفارقة الزمنية من خلال الصراع بين مرحلتين زمنيتين متناقضتين: الماضي الحامل للجذور والذكريات والوطن، والمستقبل الذي تمثله الهجرة ونمط حياة جديد. الشخصية الرئيسية، وهي الرجل، تواجه معضلة وجودية تُعبر عن هذا التضاد الزمني، حيث يتحتم عليه مواجهة واقع حاضر مثقل بالمعاناة والاغتراب في ظل مطالب عائلته للانتقال إلى مستقبل بعيد كل البعد عن تجربته الحالية. هذا الوضع يوّد انشفاقاً داخل الهوية والوعي يتجلى في فجوة زمنية تُشكّل صداماً بين هذه الأزمنة المتباينة. اللافت هنا أن الاسترجاع الزمني لا يرتبط بالأمل أو الجمال المتخيل في الماضي، بل يتغلغل في معاناة مستمرة وذكريات مؤلمة. في المقابل، يُصوّر المستقبل كزمن مفصول لا يمكن الوصول إليه إلا عبر قفزة قسرية، ما يُعمق الإحساس بالتشردم بين الأزمنة. تتخذ هذه المفارقة بُعداً نقدياً عندما يتحوّل التضاد إلى تناقض جوهري بين مفهومي "الأمان" و"الهوية". فالعائلة تُقدّم دعوة للرجل من أجل بداية جديدة، تطلب منه الانفصال الكامل عن ماضيه، وعن مكانه وهويته القديمة. ما يُضاعف التوتر هو أن هذه الدعوة تأتي بعد سنتين من البُعد والانقطاع العاطفي، مما يجعل مفهوم "الحياة الجديدة" يُشبه إلغاء للذات الأصلية. المفارقة تظهر بوضوح في أن السعي وراء الأمان المادي يتطلب التخلي الجذري عن الذاكرة والتاريخ

¹⁴-المصدر نفسه، ص 19.

والروح الهوياتية، ما يجعل هذه "الصفقة الوجودية" ذات طابع قاسٍ، حيث يعترض الأمان الجسدي طريق التوازن النفسي والإحساس بالهوية الثقافية. وبهذا تتحول حياة الشخصية إلى أزمة زمنية تضعها أمام استحالة العودة إلى الماضي وضبابية القبول بمستقبل لا يتناغم مع كينونتها.

يسلط الكاتب الضوء على شخصية فائزة وذكراياتها التي مرت بها مع وحيد بعد ذلك اللقاء الصدفة؛ يقول: "انتشلت فائزة أهم دفاتر حياتها من مستودع ذاكرتها، أخذت تقلب أو راقه من بدايتها قبل كل الأحداث الدامية التي أملت بهم بزمان طويل.

بدأت بأولى الصفحات فتاة في مقتبل العمر، لا هم لها سوى النجاح في دراستها لتحقيق طموحاتها كأني فتاة من جيلها، وعمرها.

جميلة كزهرة بريّة، محبة للحياة كفراشة نشيطة لا تهدأ كنحلة عذبة كالفرات¹⁵

تُبرز المفارقة الزمنية في هذا النص عبر تقنية الاسترجاع التي تقوم بها فائزة، حيث تعود إلى زمن ماضٍ يُصوّر بوصفه "ما قبل كل الأحداث الدامية". تلك العودة الفكرية تُنتج تضاداً حاداً بين صورة الماضي المُفعم بالنقاء والجمال وبين الحاضر الموحش الذي انطلقت منه هذه الذكريات. ليست هذه العملية مجرد استذكار تقليدي لأحداث أو لحظات معينة، بل هي بمثابة رحلة رمزية إلى زمن مفقود تحاول فيه الشخصية استعادة صورة الذات البريئة التي كانت خالية من الهموم، في مقابل واقعها المتصدع الذي أصبحت فيه الذكريات كأوراق يُستخرج محتواها من أعماق الذاكرة بطريقة أشبه بانتشال الجثث من تحت الركام. كما تتخذ المفارقة في سياق النص طابعاً استهجائياً من خلال عملية مقارنة تمثيلية بين صورة الفتاة النشيطة المفعمة بالحياة والتي شُهِت بـ"زهرة بريّة، فراشة ونحلة"، وبين وضعها الحالي الذي تشكل بفعل "الأحداث الدامية". الرموز التي كانت في الماضي تحمل دلالة الجمال والحيوية أصبحت في الحاضر ما لا يتجاوز نطاق الذكريات الموثقة في دفاتر قديمة، وكأنّ الحياة توقفت وتحولت إلى أرشيف مجرد من الحركة والمشاعر الحية. المفارقة الأكثر عمقاً تتجلى في أن عملية الاسترجاع، بدلاً من أن تمنح صاحبها شعوراً بالدفء أو الحنين إلى الماضي، تُضاعف الألم الذي يستشعره بسبب قسوة الحاضر، بحيث تظهر الصورة القديمة للبراءة وكأنها تنتمي لعالم مختلف تماماً، إلى درجة يُخيّل معها أن ما كان يُطلق عليه "الزمن الجميل"

¹⁵-المصدر نفسه، ص20.

لم يكن مجرد فترة انتهت، بل هو واقع موازٍ قد انفصل عن استمرارية الحياة، تاركاً الشخصية مُعلّقة في إطار زمني لا يمت بصلة إلى وجودها الراهن.

ب- استباق:

الاستباقات داخل رواية "أرواح هائمة" أغلها عبارة عن استشرافات مستقبلية للوضع الراهن الذي تعيشه سوريا تحت وطأة ظلم وجور الطبقة الحاكمة الدكتاتورية وبين نظام الجيش الحر العبيثي، كلاهما يتقاذف البطش والجور على اختلاف الوسائل، وها هي الأحداث تتسارع في الزمن الروائي؛ يقول الكاتب: "من الصعوبة بمكان التنقل ليلاً، سأنتظر حتى الصباح محاولاً الذهاب إلى مدينة "الطبقة"، إن استطعت حتى أظل قريباً من الرقة في حال تحسنت الأوضاع لكي أعود، وقد لا أذهب، لا أدري بحسب الظروف الراهنة."¹⁶

هذا المقطع يستعرض تقنية "الاستباق الزمني" عبر تصوير الشخصية وهي تخطط لمستقبل غامض بناءً على واقع حياتي متقلب. الشخصية لا تقتصر على العيش في اللحظة الراهنة فقط، بل تتجاوزها بتفكير يمتد إلى ما بعد الصباح، محاولةً استشراف خيارات عدة: الذهاب إلى المنطقة المحددة، البقاء بالقرب من الرقة، أو حتى عدم الانتقال مطلقاً. ما يميز هذا الاستباق الزمني هو أنه لا يُعبّر عن تخطيط طبيعي، بل يتجسد فيه الشعور بعدم الاستقرار الذي يجعل المستقبل مشروطاً بعبارات مثل "إن استطعت" و"بحسب الظروف"، ليكشف كيف يلقي الحاضر المضطرب بثقله على رؤية الفرد المستقبلية. وفي إطار التحليل، هذه التقنية تتحول إلى مرآة تعكس الصدمة الجماعية، حيث يفقد المستقبل دوره التقليدي كرمز للطموحات والإنجازات، ليصبح مجرد امتداد للقلق والانتظار. التخطيط للتحرك "في حال تحسنت الأوضاع" يظهر أن الزمن القادم بات جزءاً من دائرة الترقب والخوف، لا مساحة للابتكار والإقدام. المفارقة هنا ملحوظة: فالاستباق الزمني الذي يُفترض أن يدل على الأمل والرغبة في صياغة المصير، يتحول في هذا السياق إلى استعارة عن الضعف والخضوع لقوى خارجة عن السيطرة. وهكذا، يصبح تجسيد المستقبل مرتبطاً بتحسين "الأوضاع"، وهي ظروف لا يمتلك الفرد أي قدرة فعلية على التأثير فيها، مما يعكس اغتراب الإنسان عن ذاته وزمانه.

ويقول في حدث آخر داخل السلسلة القصصية للرواية: "ليلة ما قبل دخول مختلف الجبهات والكتائب، مع فصائل الجيش الحر المتعددة الأسماء، والتوجهات والأهداف الظاهرة

¹⁶ - المصدر نفسه، ص 16.

والباطنة، وردت معلومات تفيد بتجمعهم بمحيط تل البيعة من جهة المدينة الشرقي، أما الهدف من هذا التجمع ضرب حواجز الجيش الوطني غير النظامي الذي أشبه ما يكون رديفا لقوات النظام الرسمية ثم الانسحاب، وليس اقتحام المدينة كما كان يُشاع¹⁷.

يُعد الاستباق الزمني في العبارة "وليس اقتحام المدينة كما كان يُشاع" أداة سردية من شأنها اختراق التسلسل الزمني المعتاد للأحداث، مُلقياً الضوء على لحظة مستقبلية ضمن سياق الرواية. يتيح الراوي من خلال هذه التقنية للقارئ فرصة فريدة لاستيعاب حقيقة مغايرة لما هو متوقع استناداً إلى الشائعات الشعبية، حيث يبدو التوتر بين التصورات الجماعية والواقع العسكري جلياً، مما يعزز ديناميكية السرد ويُغذي الإحساس بالدراما والتشويق منذ بداية العمل. تُظهر هذه الآلية السردية المفارقة التراجيدية التي ستغدو جوهر الكارثة المُرتقبة، حيث تتكشف أمام القارئ حقيقة مُغايرة لطموحات المدافعين عن المدينة، ما يُبرز حدود الأهداف العسكرية بالمقارنة مع التصورات الشعبية. هذه المعرفة المسبقة تُحول القارئ إلى دور المفسر أو المراقب الذي يدرك تضارب المصالح والرؤى بوضوح أكبر من الشخصيات المتورطة في الأحداث والمحدودة في فهمها بسبب معلومات مُضللة ونتيجة لذلك، تتعمق الطبيعة التراجيدية والعنثية لمسار الأحداث، مؤطرة ضمن تجربة سردية تدعو للتأمل في تناقضات الواقع والعواطف الإنسانية.

وفي مقطع آخر وظف الكاتب الاستباق الزمني قائلاً: "بعد أقل من شهر بدأ الأهالي بالعودة إلى بيوتهم لتصبح الحياة طبيعية لا يعكر صفوها إلا القصف العشوائي المفاجئ من الفرقة 17 حتى طيران النظام كان كثيراً ما يحلق في أجواء المدينة يخترق جدار الصوت أحياناً دون قصف بحدود ستة أشهر إلا بمحيط الفرقة العسكرية المحاصرة"¹⁸.

¹⁷-المصدر نفسه، ص 47.

¹⁸-المصدر نفسه، ص 61.

قائمة مستقلة للمصادر والمراجع.

1. أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية، بيروت، ط 1، 2005.
2. جبرار جنيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة، (د.ب)، ط 2، 1997.
3. جيرالد برنس
4. قاموس السرديات، تر: السيد إمام، بيروت للنشر والمعلومات، مصر، ط 1، 2003.
5. المصطلح السردية، المشروع القومي للترجمة، تر: عابد خزندار، القاهرة، مصر، ط 1، 2003، ص 25.
6. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط 1996، 3.

يُعد هذا المقطع تجسيداً بارزاً لتقنية الاستباق الزمني، حيث ينقل الراوي فجأة القارئ من وصف لحظة مليئة بنشاط الشباب المتحمس لإعادة الحياة إلى طبيعتها، إلى استعراض مستقبل الأحداث خلال الأشهر الستة التالية. هذه القفزة الزمنية لا تُستخدم فقط كوسيلة لتكثيف السرد، بل تسلط الضوء على التناقض الصارخ بين لحظة الأمل والتفاؤل التي تميزت بعودة السكان إلى ديارهم، والواقع القاسي الذي سيتشكل لاحقاً من خلال موجات القصف العشوائي واستمرار دوامة المعاناة. من الناحية الدرامية، يكسر هذا الاستباق الإيقاع الزمني للقصة ليصحب القارئ في رحلة تنتقل بين دفء التعاون والعمل الجماعي والأمل وبين ظلال الرعب والخوف المكبوت تحت وطأة الحرب. هذه المفارقة المأساوية بين التطلعات الإيجابية للشباب والواقع المظلم الذي ينتظرهم تدفع القارئ إلى إدراك كيف أن محاولة استعادة الحياة الطبيعية لم تكن سوى هدنة هشة تزول سريعاً أمام قوة آلة الحرب المدمرة. وبهذا، يأتي الاستباق ليعمّق الإحساس بالخدعة القاسية التي عاشها السكان، وليكشف عن هشاشة اللحظات التي ظنوا أنها بداية جديدة.

.الخاتمة:

تمثل رواية "أرواح هائمة" لعبد العظيم إسماعيل لوحة سردية دقيقة تتفنن في معالجة المفارقات الزمنية، كاشفةً عن أزمت الذات والوجود في إطار الواقع العربي المعاصر، من خلال الغوص العميق في النص، يمكن تلخيص أهم القضايا في النقاط التالية:

المفارقات الزمنية لم تقتصر على كونها أداة سردية بل تجاوزت ذلك لتصبح محوراً فلسفياً يعبر عن تشتت الهوية وضبابية الزمن، متجسدة عبر تقنيات الاسترجاع والاستباق التي تُبرز تضارب الماضي الآمن مع الحاضر العاصف.

تحوّل الزمن داخل الرواية إلى عنصر درامي نابض، لا مجرد خلفية للأحداث، بتوقفه أو تسارعه، يعكس الزمن حالات الاغتراب والقلق الدائم التي تهيمن على الشخصيات، مما يضيف بُعداً نفسياً على بنية النص.

7. سمر روي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003.

8. عبد العظيم إسماعيل، رواية أرواح هائمة، دار فضاءات، عمان الأردن، ط1، 2022.

9. عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، دار الهرم، مصر، ط1، 2009،

من خلال تسليط الضوء على مفاهيم مثل "التحرير" و"الهجرة"، يتحول السرد إلى نقد فعال للإشكالات التي قلبت هذه الشعارات إلى أدوات لتحطيم الفرد والمجتمع، تنجح الرواية في تقديم رؤية زمنية مشظاة تُشكّل استعارة عميقة لأزمة الإنسان العربي بين ثقل ماضٍ مثقل بالجراح ومستقبل ما زال غارقاً في المجهول.

الهوامش والإحالات